

المبحث الخامس شروط الشهادتين

المبحث الخامس: شروط الشهادتين: ذكر العلماء لكلمة الإخلاص سبعة شروط، نظمها بعضهم بقوله: علم يقين وإخلاص وصدق مع محبة وانقياد والقبول لها وهذه الشروط مأخوذة بالاستقراء والتتبع للأدلة من الكتاب والسنة، وقد أضاف بعضهم إليها شرطاً ثامناً، ونظمه بقوله: وزيد ثامنها الكفران منك بما سوى الإله من الأنداد قد أهلاً وأخذ هذا الشرط من قوله - صلى الله عليه وسلم - { من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه } رواه مسلم برقم (23)، في الإيمان، باب "الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله... إلخ". . وذكره الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد، ثم قال بعده: وهذا من أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله، فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل لا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعوا إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شك أو تردد لم يحرم ماله ودمه.. إلخ. ومعنى هذا الشرط أن يعتقد بطلان عبادة من سوى الله، وأن كل من صرف شيئاً من خالص حق الله لغيره فهو ضال مشرك، وأن كل المعبودات سوى الله من قبور وقباب وبقع وغيرها، نشأت من جهل المشركين وخرافاتهم، فمن أقرهم على ذلك أو تردد في صوابهم أو شك في بطلان ما هم عليه فليس بموحد، ولو قال: لا إله إلا الله. ومع ذلك فإن الشروط السبعة هي المشهورة في كتب أئمة الدعوة - رحمة الله- فنذكر عليها بعض الأدلة للتوضيح: الشرط الأول: العلم: دليله قوله تعالى: { فَاعْلَمُ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ } . وروى مسلم عن عثمان - رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - { من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة } . والمراد: العلم الحقيقي بمدلول الشهادتين وما تستلزم كل منهما من العمل ضد العلم الجهل، وهو الذي أوقع المشركين من هذه الأمة في مخالفته، حيث جعلوا معنى الإله، ومدلول النفي والإثبات، وفاثم أن القصد من هذه الكلمة معناها، وهو الذي خالقه المشركون العاملون بما تدل عليه، حيث قالوا: { أَجَعَلَ الْأَلَهَ أَهْلًا وَاحِدًا } وقالوا: { أَنْ امْتَشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى الْهَتِكْمُ } . الشرط الثاني: اليقين: وضده الشك والتوقف، أو مجرد الطعن والريب. والممعنى: أن من أتى بالشهادتين فلا بد أن يومن بقلبه ويعتقد صحة ما يقوله، من أحقيته لله تعالى، وصحة نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - وبطلان إلهية غير الله باي نوع من التأله، وبطلان قول كل من ادعى النبوة بعد محمد - صلى الله عليه وسلم - فإن شك في صحة معناها أو توقف في بطلان عبادة غير الله، لم تتفعه هاتان الشهادتان. ودليل هذا الشرط ما رواه مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه- عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال في الشهادتين: { لا يلقي الله بهما عبد غير شاك فيهم، إلا دخل الجنة } . وفي الصحيح عنه أيضاً، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال له: { من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله، مستيقناً بها قبله فيبشره بالجنة } رواه مسلم برقم (31)، في الإيمان، باب "الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً" . وقد مدح الله تعالى المؤمنين بقوله: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَأُوا } . وذم المنافقين بقوله: { وَإِذَا تَبَأَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْهُمْ يَتَرَدَّدُونَ } . وقد روي عن ابن مسعود - رضي الله عنه- قال: الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله ذكره البخاري تعليقاً كما في الفتح: 1/60، وقال الحافظ: وصله الطبراني بسند صحيح، وأبو نعيم في الحلية.. ولا شك أن من كان موقناً بمعنى الشهادتين، فإن جوارحه تتبع لعبادة الرب وحده، ولطاعة الرسول عليه الصلاة والسلام. الشرط الثالث: القبول المنافي للرد: فإن هناك من يعلم معنى الشهادتين، ويؤمن بمدلولهما ولكنه يردهما كبراً وحسداً، وهذه حالة علماء اليهود والنصارى فقد شهدوا بالله وحده، وعرفوا محمداً - صلى الله عليه وسلم - كما يعرفون أنباءهم، ومع ذلك لم يقبلوه: { حَسِدًا مِّنْ عَنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ تَعْدِيَةِ لَهُمُ الْحَقُّ } . وهكذا كان المشركون يعرفون معنى لا إله إلا الله، وصدق محمد - صلى الله عليه وسلم - ولكنَّ الطالِمِينَ يَأْتِيَاتِ اللَّهِ يَجْحُدُونَ } . الشرط الرابع: الانقياد: ولعل الفرق بينه وبين القبول، أن الانقياد: هو الاتباع بالفعل، والقبول: إظهار صحة معنى ذلك بالقول، ويلزم منها جميعاً الاتباع: ولكن الانقياد هو الاستسلام والإذعان وعدم التعقب لشيء من أحكام الله. قال الله تعالى: { وَأَنْبِيَا إِلَيْهِ رَبُّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ } . وقال تعالى: { وَقَمْ أَحْسَنُ دِيَنًا مِّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ } . وقال تعالى: { وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُتْقِيِّ } . فهذا هو الانقياد لله تعالى بعيادته وحده، فأمام الانقياد لبني - صلى الله عليه وسلم - بقبول سنته، وابتاع ما جاء به والرضي بحكمه، فقد ذكره الله تعالى بقوله: { قَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فَيَقُولَا سَجَرَ بَيْتُهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَقْسِمِهِمْ حَرَجًا وَمَا قَصَبَتْ وَبُسْلَمُوا تَسْلِيمًا } . فاشترط في صحة إيمانهم أن يسلموا تسليماً لحكمه، أي ينقادوا ويدعوا لما جاء من ربه. الشرط الخامس: الصدق: وضده الكذب، وقد ورد اشتراط ذلك في الحديث الصحيح، عنه - صلى الله عليه وسلم - { من قال لا إله إلا الله صادقاً من قبله دخل الجنة } رواه أحمد في المسند: 4/61، عن رفاعة الجوني، رواه أحمد أيضاً: 4/402، عن أبي موسى رضي الله عنه.. فأمام من قالها بلسنه وأنكر مدلولها بقلبه فإنها لا تنحيه، كما حكى الله عن المنافقين أنهم قالوا: { تَشَهِّدُ إِنَّكَ لِرَسُولِ اللَّهِ } . وقال تعالى: { وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لِرَسُولَهُ وَاللَّهُ يَسْهُدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ } . وهكذا كذبهم بقوله تعالى: { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ أَمَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ } . للشرط السادس: الإخلاص: وضده الشرك، قال الله تعالى: { قَاتِبُهُ اللَّهُ مُخْلِصًا لَهُ الَّذِينَ أَلَّا لِلَّهِ الَّذِينَ الْخَالِصُ } . وقال تعالى: { قُلْ إِنِّي أَمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ } . وقال: { قُلْ اللَّهُ أَعْنَدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي } . وفي الصحيح: عن أبي هريرة - صلى الله عليه وسلم - قال: { أَسْعَدَ النَّاسَ بِشَفَاعَتِي مِنْ قَال: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خالِصًا مِنْ قَلْبِهِ } . وهو معنى قوله - صلى الله عليه وسلم - في حديث عتيان { فإن الله حرم على النار من قال: لَا إِلَهَ إِلَّا الله، يبغى بذلك وجه الله }. فالإخلاص: أن تكون العبادة لله وحده، دون أن يصرف منها شيء لغيره، لا ملك مقرب ولا نبي مرسى، وكذا الإخلاص في اتباع مسلم - صلى الله عليه وسلم - بالاقتصار على سنته، وتحكيمه، وترك البدع والمخالفات، وكذا ترك التحاكم إلى ما وضع البشر من قوانين وعادات ابتكرواها وهي مصادمة للشريعة، فإن من رضيها أو حكم بها لم يكن من المخلصين. الشرط السابع: المحبة: المحبة لصدتها من الكراهة والبغضاء؛ فيجب على العبد محبة الله ومحبة رسوله ومحبة كل ما يحبه من الأفعال والأقوال، ومحبة أوليائه وأهل طاعته، ويلتزم بطاعته، ويسارع إلى كل ما يحبه مولاً من الأقوال الصادق يطيع الله ويتبع رسوله - صلى الله عليه وسلم - وبعيد الله حق عيادته، ويلتزم بطاعته، ويسارع إلى كل ما يحبه مولاً من الأقوال والأعمال، وتراه يحذر المعاصي ويبعد عنها، ويمتنع عنها، ويفوتها صادق المحبة، ولو كانت تلك المعاصي محبوبة للنفس ولذذة في العادة لعلمه بأن النار حفت بالشهوات، والجنة حفت بالكماره، فمتنع كذلك فهو صادق المحبة، ولهذا سئل ذو النون المصري - رحمة الله - متى أحب ربى؟ فقال: إذا كان ما يبغضه أمر عندك من الصبر ذكره أبو نعيم في الحلية: 9/363، بإسناده عنه.. ويقول بعضهم: من أدعى محبة الله ولم يوافقه فدعواه باطلة. وقد شرط الله لعلامة محبته اتباع النبي - صلى الله عليه وسلم - في قوله تعالى: { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ قَاتِلُّعُونِي يُحِبِّكُمُ اللَّهُ وَقَاتِلُّعُونِي يُغَفِّرُ لَكُمْ دُنْوِكُمْ } . وقد سبق أن ذكرنا بعض الأدلة على محبة النبي - صلى الله عليه وسلم - وما تستلزم من الأعمال فكذلك محبة الله تعالى.